

5

قصص المبشرون بالجنة

حبيب الرسول
وجاره في الجنة

سليمان العناني



دار اللطائف

سلسلة قصص

حبيب الرسول وجاره في الجنة

(الزبير بن العوام)

كان الإسلام ملزماً غريباً في مكة .. لم يؤمن به إلا قلةٌ قليلةٌ تعيشُ في عزلةٍ فرضتها عليها قوى الطغيان .. فبوروا تجارةَ التجار .. ونحّوا الزعماءَ عن زعامتهم .. وبقي المسلمون يستخفّون في دارِ (ابن الأرقم) يتقابلون سرّاً .. ويصلّون خفيةً ويتدارسون القرآن همساً .. وشاع في مكة أن (محمداً) قد قُتل ..

واستل الفتى (الزبير) سيفه وشهره عالياً ، وراح يجرى في طرقات مكة يتيقن من الخير ، وهو يقسم في نفسه أن يطيع برقاب أهل مكة كلها إذا كان الخير صحيحاً ..
ولقيه الرسولُ وهو في حالته هذه .. فهذا من روعه وباركه وصلى عليه ودعا له بالخير ولسيفه بالغلبة ..

فمن هو (الزبير) .. هذا الفتى المسلم القوي الجريء ..
هو (الزبير بن العوام) ابنُ السيلة (صفية) بنت عبد
الطلب عمه النبي عليه السلام ..

ويلتقى نسب الزبير مع نسب النبي محمد في جدتهما
الرابع (قصي بن كلاب) .

أسلم الزبير مبكراً .. وكان لم يزل فتى في حوالى الخامسة
عشرة .. ويقال في الحادية عشرة .. لهذا فقد تعرض لتعذيب
مبرح من عمه الذى كان يلفه بحصير ويعلقه من قدميه ثم
يدخن عليه بالنار حتى يكاد يخنق ثم ينأى عليه ..

- اكفر برب محمد أدرا عنك هذا العذاب .

فيجيبه الفتى المؤمن :

- لا .. والله لا أعود للكفر أبداً ..

ويهاجر (الزبير) إلى الحيشة في الهجرتين : الأولى

والثانية ، هربا من هذا العذاب وهذا الاضطهاد ، ثم يعود

إلى جوار رسول الله ويتزوج من أسماء بنت أبي بكر
(ذات النطاقين) ..

هكذا يلتقي رجل مبشر بالجنة مع فتاة مبشرة بالجنة في
زواج يرزقان منه بسبعة من الأولاد، حملوا جميعاً أسماء
شهداء الدعوة الإسلامية، فقد كان أبوهم يتمنى أن ينالوا
شرف الشهادة مثل سابقيهم ..

شهد (الزبير بن العوام) كل غزوات رسول الله وله في
كل موقعة بطولات تشهد عليها هذه الرواية التي قصها
علينا واحد من أصحابه .. الذي يقول :

”صحبت (الزبير بن العوام) في بعض أسفاره ورأيت
جسده .. مجذعا بالسيوف ، وإن في صدره لأمثل العيون
الغائرة من الطعن والرمي ..

فقلت له : والله لقد شاهدتُ بجسمك ما لم أراه بأحد
قط ..

فقل لي : أما والله ما منتها جراحة إلا مع رسول الله وفي
سبيل الله ..

فهل نقف مع (الزبير بن العوام) في (غزوة بدر
الكبرى) في أولى هذه المواقع الكبرى التي شهدتها الصراع
العسكري بين الكفر والإيمان؟

حشدت قريش لهذا اليوم عدتها مع خير فرسانها
يتصدرهم أشهر فرسانها (عبيدة بن سعيد بن العاص)
المشهور بشدته وبطولته النادرة وفروسيته الفذة ..

وقف (ابن العاص) في مقدمة الصفوف متدعاً من قمة
رأسه إلى أخمص قدميه متحدثاً من (يتهور) ويجازف بمنازلته
..

لكن من يقدر على هذا الفارس المشهود له وقد اختفى
كل جسمه تحت الدروع ولم يعد يرى منه إلا عينه ..

وتقدم إليه الزبير بن العوام .. وراح يلسف حوله

ويدور ويفكر ..

وفجأة دفع الزبير رعه القصيرة (العنزة) ووجه بها طعنة نافلة بلاذن الله احترقت عين (ابن العاص) لتستقر في مؤخرة رأسه ..

وانطلقت صرخة الفرع والالم من عدو الله وهو يسقط جنة هامة أمام باقى المشركين الذين كانوا يعتقدون عليه الأمل الكبار .

هنا دب الفرع فى صفوف قريش .. وعلت صيحات التكبير فى صفوف المسلمين .. وكانت طعنة (ابن الزبير) النافلة بداية لانتصار كبير حققه جند الله من المسلمين فى غزوة (بدر) ..

ولما علم رسول الله بما فعل الزبير دعا له وطلب رعه القصيرة (العنزة) واحتفظ بها تكريما لها ولصاحبها ..

ولم يكن يوم (بدر) هو فقط يوم الزبير .. بل كانت كل

أيام الإسلام أيامه ..

يروى عن الزبير أنه ذهب مع (على) كرم الله وجهه إلى
أحد الحصون التابعة (لبنى قريظة) أثناء حصارهم .. ثم وقفا
دون باب الحصن وقالا معا ..

"والله لنذوقن ما ذاق حمزة" أو لنفتحن عليهم
حصنهم" ..

ثم اندفعا معا إلى الحصن ففتحها بابه وسط دهول
المختبئين فيه ..

ودخله المسلمون بإذن الله مهتللين مكبرين ..

أما يوم (اليرموك) فقد كان يوما مشهودا بين المسلمين
والروم في أرض الشام ..

وكان الروم قد حشدوا جيوشهم القوية الكبيرة .. إلا أن
المسلمين لم يهابوا هذا الحشد ، ولم يرهبوا تلك القوة ..

(مهر حمزة بن عبد المطلب هو النبي محمد الذي يستشهد إلى موعدة (أحمد) .

وكيف يهابون وهم يحملون في قلوبهم إيماناً بحبيب إليهم
طلب الشهادة؟

اجتمعت مجموعة من أبطال المسلمين ، وجعلوا إلى الزبير
وقالوا :

- ألا تحمل^(١) فتحمل معك ؟

- قال الزبير : نعم ..

وانطلق الزبيرُ ومن خلفه جماعة المسلمين يشق
الصفوف ، لا تثنعه قوة .. شاهراً سيفه ، حاملاً رمحاً وراح
يفاتل قتلاً الفدائي .. وانتقلت روحه القوية إلى باقي
رجالهِ ، فأشاعوا الرعب في صفوف الروم ..

وحقق جيشُ الإسلام في اليرموك نصراً بعد نصر ..
وغلد التاريخ اسم (الزبير بن العوام) قائداً .. فدائياً ..
مناضلاً .. مقداماً ..

(١) ألا تحمل : أي تعود حلة أو ثياب غارة على الأعداء .

تتابعت فتوحُ المسلمين .. وارتفعت رايةُ الإسلام في
عديدٍ من البلاد .. ودخل المسلمون مصرَ بقلعة (عمرو بن
العاص) ..

مضت جيوشُ (عمرو) تطوى أرضَ مصر دون مقاومةٍ
تذكر .. فقد رحب المصريون بهذه الدعوة ورأوا فيها
خلاصاً عما يلقونه من ظلمٍ وبطشٍ من جانب الحكم
الروماني .. حتى إذا وصلت جيوشُ المسلمين إلى (حصن
بابلون) شعر ابن العاص أنه بحاجة إلى مددٍ يعاونه على
اقتحام هذا الحصن الذي تمركزت فيه كلُّ قوى الرومان في
مصر .. فكتب إلى (ابن الخطاب) يطلب المساعدة .

وأرسل (ابن الخطاب) إلى (ابن العاص) أربعة آلاف
جندي بقلعة أربعةٍ من خيرة القلعة .. وكتب إليه يقول :
" لقد أمددتك بأربعة آلاف عليهم أربعةٌ من مشاهير
الصحابَةِ الواحد منهم بألف رجل " ..

فمن هم هؤلاء الصحابة الذين يعادل الواحد منهم ألف رجل ؟

إنهم (الزبير بن العوام) ، و (عبيدة بن الصامت) .. و (المقداد بن الأسود) ، و (مسلمة بن مخلد) .. (عليهم رضوان الله) ..

وتتجه جيوش الإسلام بعد هذا الدعم إلى حصن (بابلليون) المنيع .. ويشعروا بالجميع أن اللحظة حاسمة وأن الموقف خرج وخطير .. إنها لحظة فاصلة في تاريخ نشر دعوة الإسلام ..

ويومها تتجلى عبقريّة (ابن العوام) العسكرية وفدائيته .. فقد تسلل إلى أحد جدران الحصن حيث وضع سلماً ليصعد عليه ، وطلب من المسلمون أن يجيئوه مجتمعين إذا ما سمعوه يطلق الصيحة الكبرى .. الله أكبر .. ويصعد (ابن الزبير) الحصن في هدوء حتى يرتقى قمته ثم يطلق

صيحته (الله أكبر) ..

هنا تنطلق خلفه صيحات آلاف من الجنود مكبرةً مرات
ومرات .. ويدب الرعبُ في قلوب الرومان ويظنون أن
المسلمين قد دخلوا الحصن ، ويولون الأدهار هارين هارين ..
ويتجه (الزبير بن العوام) إلى باب الحصن فيفتحه ،
ويدخل المسلمون لينتهي هذا الحصارُ دون إراقة نقطة دم
واحدة .. يسجل التاريخُ مرةً أخرى اسم (الزبير بن
العوام) قائداً فذاً في كتاب الجهاد في سبيل الله .

ويواصل (ابن الزبير) جهته تحت إمارة (عمرو بن
العاص) لفتح باقي أقاليم مصر ، ويكون له دورٌ بارزٌ في
فتح الإسكندرية ..

لله دركُ أيها المحاربُ الشريفُ .. وإيها المقاتلُ القوي ..
فقد وهبت حياتك كلها للنضال في سبيل الله وفي سبيل
دعوته .. ولم تطمع في أي شيء آخر حتى قيل عنك :

"إنه ما ولي إمارة قط ، ولا جباية ، ولا خراجا ولا شيئا إلا
الغزو في سبيل الله"

كذلك عفا (الزبير) عن الوظائف والمهام غير القتالية
رغم أن عائدها كان مجزيا .. ومجهوقها قليل ..

لقد أثر أن يحدّد هدفه (نشر دعوة الإسلام) كما أنه حدد
وسيلته (الجهاد في سبيل الله) ..

ولم يكن الزبير مقاتلا في سبيل رفعة الإسلام فقط بل
كان بلالا للمال .. أنفق كل ثروته في سبيل الله حتى مات
وهو مدين ..

لقد أحبه رسول الله وقربه من مجلسه .. فهو الحارث
القوي ، والجواد السخي .. والذي أقرض الله قرضا حسنا ..
وكان الرسول يقول عنه :

"لكي نبى حوارى .. وحوارى الزبير بن العوام" .

فها هو ذا النبي يعترف بأن الزبير هو أقرب الناس إلى
قلبه وأكثرهم حرصاً عليه وتمسكاً به نبياً ورسولاً وإنساناً
عظيماً ..

وإننا لنقف أمام وصف (شاعر الرسول) حسان بن
ثابت للزبير ونتمتع هذه العظيمة ، وهذا المجد الذي صنعه
محاربٌ في سبيل الله بمجد سيفه ورسالة عطائه ..
يقول حسان :

أقام على عهد النبي وهديه
خَوَارِيهَ والقَوْلُ بالفعل يعدلُ
أقام على منهاجه وطريقه
يوالي وليُّ الحق والحق أعدلُ
هو الفارس المشهورُ والبطلُ الذي
يصولُ إذا ما كان يومٌ محجلُ

له من رسول الله قريبة
ومن نصرة الإسلام عجد مؤئل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه
عن المصطفى والله يعطى ويجزل
سلام على الزبير بن العوام .
وسلام على رفيق كفاحه (طلحة بن عبيد الله) اللذين لم
يُذكر أحدهما إلا وذكر الآخر .

فقد تشابها وتزاملأ ..

أسلما في عام واحد ..

وقتلا في يوم واحد ..

ودفنا متجاورين ..

بشرهما النبي ﷺ بلجنة معا عندما قل :

(طلحة والزبير جاراي في الجنة) .

